رئاسة بطرس في شعر رومانس

بقلم الاب نيقولاوس قادري ق. ب.

ان القديس رومانس المرنم ليس بلاهوتي وانما هو شاعر . وبالرغم من ان اناشيده كلها تدور حول مواضيع دينية واحتفالات ليتورجية فقد سيطرت عليها مسحة الشعر الصافي وجرأة الخيال الطليق وروعة المسرحية النفسية .

وهذه الاناشيد لا يتفسح فيها المجال الكامل لابراز الحقائق اللاهوتية بكل دقائقها وصورها وتحديداتها . ولو كانت فقط مظهراً للتعاليم المسيحية لكانت هذه القصائد من الشعر التعليمي الديني لا قيمة ادبية لها وما كان رومانس تبوأ هذه الزعامة الادبية في حلبة الشعراء اقرانه فقد دعاه النقاد والعلماء « ملك الشعراء الدينيين في كل العصور وإمام المرنمين الكنائسيين[1] ».

فقصائد رومانس هي مجموعة من شعر غنائي ومسرحي وملحمي وهي غنية بالتحليل النفسي الذي قلّ من ضارعه فيه في هذا الميدان من الشعراء على مر العصور والاجيال .

لقد احسن ذلك الكاتب الافرنسي بقوله عن رومانس : « انه شاعر وليس بلاهوتي[2] » . وان أصغر براعة من الملك المشترع يوستينيانوس تحوي حقائق لاهوتية اكثر مما تحمله قصيدة من قصائد رومانس الشاعر الديني .

انه شاعر وليس بلاهوتي . غير ان رومانس يبقى في انطلاقاته الشعرية من رماة الافكار يزرع الخصب في العقول وينثر النور في ظلمات الشك والارتياب وهو ، علاوة على ذلك ، شاهد امين لبيئة عاش فيها وتأثر بتفكيرها واياها فحمّل

(١ Edmond Bouvy : *Poètes et Mélodes*. Nimes 1886, p. 347.

(٢ C. Chevalier S. J. : *Mariologie de Romanos dans R.S. Relig.* T. 28, 1938, p. 48.

الشاعر اذن قصائده بعض التعاليم الشعبية والحقائق الدينية التي كانت منتشرة في عصره وبين اهل محيطه ومعاشريه . اجل ! كان رومانس يجتهد ان يكون بوق الكنيسة وفم الشعب وكان الشعب « يحب شاعره[1] » لانه كان يعمل على ايصال الحقائق الى مسامع ابناء المسيح عن طريق الانشاد والموسيقى فينقلها لهم وللاجيال اللاحقة على اجنحة الخيال ومركبة الشعور يؤيدها الفكر السديد في انطلاقاتها البعيدة ووثباتها الطليقة الحرة .

ومن هذه الحقائق المتغلغلة في اناشيد رومانس ومقطوعاته تلك الشهادات الصريحة في رئاسة القديس بطرس وقد جمعناها في هذا الدرس باقة من زهر تفوح بعبير تضوع من جنة الحقائق الانجيلية ولا يزال هذا العبير ينسم في اجواء الكنيسة الجامعة وينسجم مع تلك الاطياب التي تفوح في كل آن واين وتؤرج أثير الكنيسة الكاثوليكية على مر القرون .

ولهذه الشهادات في رئاسة القديس بطرس قيمة علمية وادبية تهم كثيرًا ارباب الشأن وهي شهادات من فم شاعر يوناني عاش في بيزنطية على عهد الامبراطور يوستينيانوس (٥٢٧ — ٥٦٧)

ولا يزال صدى اناشيد رومانس يدوي في كنائس الشرق البيزنطي ويعبر عن ايمان الشرقيين بعقيدة أحبها رومانس كثيرًا وعلمها لابناء بيزنطية فاما ان تكون لهذه الشهادات قيمة ومعنى واما ان تكون اصداء تطير في مهب الرياح بحيث لا يعيرها اربابها اقل انتباه . ونحن نعلم ان الكنيسة اليونانية « ادخلت الشعراء الى هياكلها وقدس اقداسها ، علمًا منها ان الشعراء هم ايضًا من ابناء المقادس يحملون تعاليمها الى قلوب ومسامع الشعب »[2] عن طريقة الجمال الشعري والادب الرائع وعن طريقة الموسيقى التي تقود الى الله .

والكنيسة البيزنطية تسمي رومانس في صلواتها « بوق الكنيسة ، ومعزفة الروح الالهي ، والبلبل الصدوح المغرد بالنشائد الالهية . المصباح الكلي الضياء .

(١ Cf. D. Cabrol : *l'Hymnographie de l'Eglise Grecque*, 1893, p. 17.

(٢ Pitra : *Hymnographie de l'Eglise Grecque*. Rome, 1867, p. 23.

والقيثار لشجي الأحباب والوتر المرنم . فوان الروح » و شاعر رومانس اثنا يمثل بتعاليمه وعقائده تعاليم وعقائد الكنيسة اليونانية التي كان «بروقيا وقيثارها» وهو شاهد ثقة على ما كانت تعلمه بيزنطية في القرن السادس قبل الانفصال .

ويعتبر الشاعر رومانس الكنيسة المسيحية جماعة من المؤمنين والرعاة المنتظمين تحت رئاسة واحدة وفي رعية واحدة اذ يتبعون كلهم لراع واحد . ولهذا لا يريد ان يبقى رسل المسيح بعد القيامة مشتتين من الخوف بل يجب ان يجمعهم فيصرخ باسمائهم نحو يسوع : « تعالَ الينا ، ايها الراعي ، واجمعنا اليك نحن المشتتين من الخوف ، دس الموت واحضر الينا نحن المشتتين اليك يا مانح الواقعين القيام .»[1]

ويشعر رومانس بان الرسل بدون رئيس هم « كالنعاج وكحملان الغنم » تتبدد اذا لم يكن لها راع . وهذا الراعي هو في نظر شاعرنا بطرس عينه وهو نائب المسيح راعي الرعاة . وقد برهن رومانس على هذه الحقيقة حينما صوّر يوحنا الحبيب وبطرس يسارعان الى القبر ولكن يوحنا وصل قبل بطرس ولم يدخل احتراماً لرئيسه الاكبر : « ولم يلج يوحنا القبر لكنه انتظر الزعيم لكي يتبع الحمل الراعي »

Ὁ μὲν ταχὺν ἔδραμε μαθητής,
Ἀλλὰ ἐσκόπει τὸν κορυφαῖον,
Ἕως ὁ ποιμὴν ἐκολούθησε τὸν Ἀμνόν.[2]

وبطرس الراعي لكل الخراف والغنم والنعاج التي تمثل جميع ابناء النصرانية من رؤساء ومرؤوسين ومؤمنين ، هو الرئيس الذي يتكلم باسم المسيح يوم العنصرة فيبدأ مهمته بهذا الخطاب : « فقال لهم كيفا بما انه رئيسهم (ὁ τῆς ἀρχῆς τῶν ἱερέων) يا عاشقي الملكوت لترفع قلوبنا الى الذي ينتظرنا ويقول : انا ارسل اليكم الروح الكلي قدسه .»[3]

---

١) راجع كتاب المينارون العربي ، اول شهر تشرين الاول في صلاة الغروب ، ص ١٠١

٢) نشيد القيامة مقطوعة ٣٣

٣) نشيد القيامة مقطوعة ٦

٤) نشيد العنصرة مقطوعة ٦

وفي شعر رومانس ينطق الرسل انفسهم بهذه الحقيقة فيصرحون بلسانهم بهذه الرئاسة المختصة بزعيمهم وراعيهم بطرس الرسول الاول فيقولون بفم واحد للمسيح ساعة جمعهم على جبل الزيتون واراد ان يفارقهم ويودعهم قبل صعوده عنهم انهم يقولون له: « نحن قد تركنا الحياة وهجرناها لاجلك انت. وعلى الارض صرنا مغتربين ومسافرين . فبطرس رئيسنا الاول (ὁ πρῶτος Πέτρος Πέτρος) بعد ان غدا صديقك تغرّب عن كل الاشياء التي كان يحوزها[1] . » اذن رومانس يعتقد بهذه الرئاسة وهذا الاعتقاد واضح من اقوال الرسل انفسهم وكلمة رئيس تدل عليها باليونانية كلمة أول فبطرس هو الاول في رئاسة التلاميذ وهو بلا شك رئيس تلاميذ الرب

وليست هذه الرئاسة ولا تلك الزعامة لبطرس رئاسة شرف او زعامة مجد خارجي بل هي رئاسة حقيقية وزعامة ذات سلطان لتدبير ابناء المسيحية على مر العصور . وينفرد بطرس بهذه الزعامة عن باقي التلاميذ والرسل كما يصرح الشاعر رومانس في نشيد خيانة يهوذا يصرح بهذه العقيدة الاساسية في تدبير شؤون الكنيسة فيقول رومانس في نشيده المذكور :

اما بطرس رئيس احبائك Πέτρος δὲ ὁ ἄρχων τῶν φίλων σου.
وقاعدة الذين يتبعونك Ὁ Κυρίου τῶν ἀκολουθούντων σου.
وقائد جماعتك[2] Ὁ στρατηγὸς τῆς ῥωμαΐδος σου.

فالاوضاع اليونانية التي يعبر بها رومانس تدل على رئاسة حقيقية ذات سلطان ونفوذ وتدبير . وكل الذين يريدون ان يخضعوا لنير المسيح عليهم ان يخضعوا لرئاسة بطرس ، اذ هو الرئيس لكل اصدقاء واحباء يسوع وهو القائد الامين لكل الذين يتبعون المسيح ، وبطرس هو القاعدة الادبية التي يجب ان يرتكز عليها دستور المسيحية . وايمان بطرس هو الاساس في المملكة يسوع الارضية وهو المبدأ لكل احباء المسيح ὁ ἄρχων τῶν φίλων σου ὑ

فلا عجب اذا ما وجدنا في تعليم رومانس الشاعر اليوناني تلك الحقائق

١) نشيد الصعود منطوعة ٧
٢) نشيد خيانة يهوذا منطوعة ٩

التي نجد لها أساساً في كتاب الانجيل والعهد الجديد . ورومانس يرتكز على الكتاب المقدس ويستوحي منه افكاره وايمانه وايمان الشعب الذي كان مثله في بيزنطية في اوج مجدها . وايمانه في رئاسة بطرس الحقيقية لا يقبل تردداً أو شكاً . فبطرس في نظره هو الاول ، هو الرئيس ، هو المبدأ في رئاسة الكنيسة المنتظمة الكل احباء المسيح وقد يعترف بطرس نفسه بهذه الرئاسة حين نسمعه يقول للمعلم الالهي حين غسل الاقدام : « لا يكفي بأني حزت الوقار امامك وبأني ادعى الاول بين احبائك[1] ؟ Καὶ πρῶτος τῶν φίλων ؛ ويبتغي بطرس ان يمتنع من غسل اقدامه فلا يرتضي تواضعه وحبه لمعلمه ان تغسل اقدامه فيمانع ويصرح بتلك العاطفة الشديدة التي تساور قلبه وحبه فيصرخ : « أأنت تغسل قدمي ؟ لا ! لا ! فاليد التي أبدعتني ان تغسل قدمي الى الابد ! »[2] وهذا التواضع العميق يصرح به بطرس حين يتابع قوله : أأنت يا جابل العالم ، أأنت ايها الفادي تروم غسل اعضائي الفاسدة ودموعي ؟ »[3] يمتنع هذا الرسول عن غسل اقدامه ولكنه يخضع اخيراً خوفاً من ضياع نصيبه في ملك يسوع فيترك « جابلَ العالم » يغسل اقدام « الاناء الخزفي » ويريد آنذاك ان يغتسل بكليته فيصرخ نحو معلمه : « اغسلني كثيراً ان شئت لكي لا ابتعد عنك »[4]

ولا يريد بطرس ان يبتعد عن المسيح لئلا يخسر نصيبه في ملك يسوع لان المسيح قد نبهه قائلاً : « ان لم اغسلك الان فليس لك معي نصيب واذا اسيء عدداً . »[5] أيرضى بطرس ، يا ترى ، ان يحسب عدواً ليسوع ؟ لا لا ! ان يحسب الحبيب عدواً ولا يرضى بديلا عن الفادي فيهتف للحال « بخوف وارتعاش : ربي اذا غسلت فلا تغسل قدمي فحسب بل جسدي كله !»[6]

---

١) خيانة يهوذا مقطوعة ١٠
٢) خيانة يهوذا مقطوعة ٩
٣) خيانة يهوذا مقطوعة ٣
٤) خيانة يهوذا مقطوعة ١١
٥) خيانة يهوذا مقطوعة ١١
٦) خيانة يهوذا مقطوعة ١١

ويجب بطرس — كما يظهر من نشيد رومانس — يجب ان يذهب مع يسوع حتى الى الالام والموت : « اننا وان صعدت على الخشبة وان نزلت الى القبر نتألم ونموت معك »[1]. واذا ما بردت محبة بطرس للمسيح فانما كان ذلك تحت تأثير الخوف الشديد « فان بطرس اضطرم بالحب اولاً ، ولم يلبث بعد قليل ان بردت محبته تحت تأثير الخوف » . وفي تلك اللحظة الرهيبة يتذكر بطرس ذلك الشرف الوسيم الذي أولاه اياه المعلم فيقول ليسوع : « ماذا تقول يا معلم ، أأنا انكرك ؟ أأنا اهملك واتركك وانسى دعوتك لي والشرف الذي أوليتني ؟ »[2] وقد نعجب مع الشاعر من صدق بطرس وشدة عاطفته عندما نسمعه يبرهن على محبته للمسيح وشدة تعلقه به وكيف انه لا ينسى احسانات المعلم السامية بل يتذكرها فيقول له : « انني لا ازال متأثراً. ألم تغسل قدمي؟ وانت تقول ايها القادي اني ازمع ان انكرك ؟ انني لا ازال اذكر، يا مخلص كيف حملت المطهرة وتقدمت عند قدمي ؛ انت الحامل الارض والمسند السماء، لقد غسلت قدمي باليدين اللتين بهما خلقتني وتقول اني سوف انكرك !»[3]

ويعرف بطرس انه كاهن المسيح فينفر من نكرانه ويصرح لمعلمه الالهي انه يفضل الموت على الخيانة ، على النكران : « ان طعم وليمتك ، ايها المنزه عن الخطأ ، لا يزال في حلقي فكيف استطيع ان انكر عطيتك ؟ ويحي لو كنت انا كاهنك ملزماً ان أصبر خائناً ، لخير لي ان أموت من ان أحيا .»[4] ويبرهن بطرس على استعداده وثباته في محبة يسوع بقسم حافل يُشهد عليه السماء والارض : « اني امام الملائكة والبشر وامامك ايها الخالق وامام البرايا العلوية والسفلية اعلن في هذه الساعة اني لو أُلجئت الى ان اموت ما انكرتك ايها القادي . فاني معك اريد ان أحيا وبدونك لا استطيع ان اتمتع بالحياة .»[5]

---

١) نشيد نكران بطرس مقطوعة ٣

٢) نكران بطرس مقطوعة ٣

٣) نكران بطرس مقطوعة ٣

٤) نكران بطرس مقطوعة ٤

٥) نكران بطرس مقطوعة ٧

وقد اراد رومانس ان يجد السبب في سقوط بطرس فلاقاه في غيرته المفرطة وجرأته : « ان الغيرة المفرطة دفعت الرسول فانضم الى الجمع ودخل بجرأة فرأى هنالك نارًا تتقد وأناساً جالسين حولها والمسيح ماثلًا أمام رئيس الكهنة فتألم لهذه الكارثة وجعل يبكي وقرع صدره وقال في نفسه بصمت : ايها المسيح ، انت مقيد تتحمل الآلام وانت قوي .»[1]

فبدء المحبة الشديدة كالموت تقوى في قلب بطرس فيصرخ من اعماق قلبه حين يرى معلمه مهاناً فلا يقوى على الصمت فيستدعي القوات السماوية الدفاع عن المسيح المتألم امام الجميع : « يا معلمي ، انت تلطم وانا لا ازال حيًا بقربك ؟ انت تشتم ، يا محب البشر ، والارض ترى ذلك وتتحمله ، ولا تفغر فاها لتبتلع مبغيك ؟ انت تردى والسماء تنظر ولا تهبط وساكنوها لا يقومون ، وميخائيل لا يغضب فيما تتحمل انت النكال ، وجبرائيل يعجز ولا يذيب اعداءك[2] واذا ما صمتت قوات السماء فبطرس لا يصمت لانه يرى ولا يقدر على الاحتمال فيصرخ : « ها ان جميع القوات العلوية تصمت أما انا فارتعش واكتئب هاتفاً : اسرع وخلص ايها القدوس رعيتك .»[3] هـذا هو بطرس المحب والغيور يظهره لنا الشاعرُ بكامله فيبدو لنا في محبته وجرأته وغيرته وسخطه ، ثم لا يلبث رومانس ان يعلنه لنا في ضعفه وثبوط عزيمته ، فينكر بطرس معلمه من شدة الخوف والحب ويلاقي الشاعر طريقةً يحسن التخلص من هذه الورطة فيقول لبطرس : « ألا تعرف الرجل ، يا بطرس وتقول ذلك ؟ الا تعرف الرجل ؟ لعلك تعني بذلك انك لا تعرف فيه انساناً فقط بل الهاً ايضاً ؟ »[4] ويجعل رومانس من بطرس الخائن آنذاك معلماً للحقائق : « لعلك تحاول ان تعلم عوذلاء الذين لا شريعة لهم ان المصلوب إله ! »[5]

---

١) نكران بطرس مقطوعة ٨
٢) نكران بطرس مقطوعة ٩
٣) نكران بطرس مقطوعة ٩
٤) نكران بطرس مقطوعة ١٦
٥) نكران بطرس مقطوعة ١٦

وفي هذه الآونة الرهيبة التي سجلت في تاريخ الانسانية امرًا فريدًا ، نكران بطرس التلميذ للمسيح معلمه ، يشعر بطرس بجسامة اثمه ويفهم ان سبب خيانته هو كبرياؤه القديم ، فيطلب الصفح للحال من اله المحبة فيصرخ وهو الضعيف: « انت قوتي ومجدي ، يا محب البشر ، فلا تتخلَّ عني » هكذا قال بطرس بدموع لما ظهر من جديد بين تلاميذه المخلص ، فقد وضع يديه على رأسه وصرخ قائلًا: «ويحي ، يا خدام المسيح ، فقد حققت نبوءة المسيح في جحودي اياه فانكرته ثلاثًا .» ثم يستدعي بطرس جميع اصدقائه لينوحوا معه على خطيئته : « نوحوا معي وقولوا بدموع اين المحبة والغيرة ؟ اين الصوم والايمان ؟ الى اي حدٍّ بلغت بك الكبرياء ؟ »[1]

ولا يرينا الشاعر روماس شخصية بطرس الضعيفة فحسب بل يحاول بتدقيق وتوسع نفسية تلميذ يحب معلمه حتى النكران وما نكران بطرس الا برهان محبته ليسوع وانما الجبانة والخوف سيطر على عقل بطرس فدفعته « غيرته المفرطة وكبرياؤه واتكاله على ذاته الى ارتكاب ما لا يحب ولا يهوى . اراد ان يتبع المعلم حتى الموت لانه لا يعرف لذة في الحياة اذا كان متغرّبًا وبعيدًا عن معلمه : « اني معك اريد ان احيا وبدونك لا استطيع ان اتمتع بالحياة . »[2]

هذه هي نفسية بطرس الرسول يحللها الشاعر روماس ويظهرها في ضعفها وكبريائها ، في محبتها وجرأتها النادرة في ابان المحنة الصعبة ، مع ذلك لا يغيب عن فكر امام المرنمين ان بطرس في حالته هذه الشديدة لا يزال في زعامته وان تخللت حياته بعض الظلمات ، ساعة انكر سيده عن ضعف وجبانة ، فقد تبددت بنظر الشاعر هذه الظلمات كانها ضباب ساقه الريح فتبدَّد عند ما اشرقت انوار القيامة واذا بالمسيح يصفح لبطرس ويعيد اليه مجده وزعامته ورئاسته الشاملة لكل الخراف . ففي نشيد الرسل الذي يمثل المسيح والرسل على جبل الزيتون قبل صعود يسوع الى السماء يرينا الشاعر روماس المسيح الراعي تحيط

١) نكران بطرس مقطوعة ١٧
٢) نكران بطرس مقطوعة ١٧

به اغنامه الرسل كما يتضح رمز ذلك من النقوش الرومانية القديمة . يستعرض المسيح اغنامه ويناجيه واحدة واحدة ويكلم كل رسول لوحده ويسأله ويسمع منه الجواب ثم يوجه اليهم المشورات والاقوال العذبة فتثير اعجاب الرسل وتولد فيهم الحماس والايمان الجهوري .

ففي هذا النشيد الدراماتيكي يعيد رومانس على ذاكرة مستمعيه عظة بطرس المثبتة بفم المسيح نفسه اذ يقول له يسوع : « انظر اليّ ، يا بطرس ، وتأمل كيف تؤدب الناس ، فكر بخطيئتك وتألم مع الجميع برفق .»[1]

ولا ينسى المسيح ان يذكر بطرس بخطيئته لكي لا تنفخه الكبرياء. وعظة الوظيفة فيقول له : « واذا ما نفختك الكبرياء فتذكر صياح الديك واذكر دموعك التي غسلتك انا بجاريها ، انا العارف وحدي ما في القلوب .»[2]

ولا يخفى على رومانس مشهد الحوار الرشيق الذي ذكره يوحنا الرسول في انجيله بعد قيامة يسوع. فالشاعر البيزنطي يعود بذكرياته الى تلك الكتابات والاقوال ويستوحي فيها ما يروق لمخيلته وما يستطيبه من الحقائق التي تلائم موضوع النشيد . ففي هذه اللحظة التي يستلهما رومانس من مدى الزمن يواجه يسوع وبطرس وآنذاك يقول يسوع المعلم لبطرس تلميذه ونائبه : « يا بطرس أتحبني ؟ اصنع ما قلته لك » . ثم يسلمه رعاية الكنيسة رعاية مطلقة ويسلمه تدبير امورها وسياسة اعضائها على اختلاف طبقاتهم ومميزاتهم : « ارعَ رعيتي واحبَّ الذين احبهم انا .»[3] ثم يذكر رومانس في نشيده عاطفة فريدة يجب ان يختلج بها قلب كل رئيس ويفكر بها ملياً عقل صاحب كل سلطان ، الا وهي الرفق بالمرؤوس الضعيف : « فكر بخطيئتك وتألم مع الجميع برفق .»[4] وخصوصاً يريد المسيح من بطرس ان يتألم مع الخاطئين : « تألم مع الخاطئين وتذكر عطفي اليك لاني قبلتك بعد نكرانك لي ثلاثا .»[5]

١) نشيد الرسل مقطوعة ٤
٢) نشيد الرسل مقطوعة ٤
٣) نشيد الرسل مقطوعة ٥
٤) نشيد الرسل مقطوعة ٥
٥) نشيد الرسل مقطوعة ٥

ولا تغيب عن ذهن رومانس سلطة المفاتيح التي تعبّر عن معنى السلطة ، عن معنى الحل والربط فيذكرها الشاعر في نشيد القيامة وفي خيانة يهوذا . يذكر رومانس سلطة المفاتيح لانها اساسية في رئاسة بطرس الحقيقية والوضعية : « لان لبطرس قد قيل يا بطرس الحبي ؟ ارعَ خرافي كما تشاء . ولبطرس قد قيل : طوبى لك يا سمعان ، ساعطيك مفاتيح الملكوت ، ولبطرس اخضعت الامواج التي مشى عليها مانح القيام .»[1]

ففي هذه المقطوعة المشبعة بالتعاليم والحقائق يذكر رومانس الانعامات الخاصة ببطرس دون سائر الرسل ، فاليه وحده اسندت « رعاية الخراف كما يشاء . » لانه الراعي وبقية الرسل هم « الحملان والنعاج » الذين اسندت رعايتهم لبطرس وقد اثبت رومانس هذه الحقيقة بقوله عن يوحنا الحبيب الذي سبق بطرس الى القبر ولم يدخل ، و رومانس يشرح سبب تهيّب يوحنا وتوقفه خارج القبر واحجامه عن الدخول : « لم يلج القبرَ بل انتظر الزعيم لكي يتبع الحملُ الراعي .»[2] فبطرس هو اذن زعيم الرسل وراعيهم وهم مع يوحنا الحملان والغنم النطقية الذين يخضعون لرئاسة راعيهم وزعيمهم بطرس الاول .

وليست هذه الزعامة زعامة شرف فقط كما يزعم البعض بل هي قبل كل شيء زعامة فعلية وضعيّة في المصف الرسولي وقد سجلها رومانس على صفحات اناشيده وفي ابيات قصائده المتعددة . وهي شهادة متينة تدل على معتقد الكنيسة اليونانية برئاسة بطرس الحقيقية الكاملة ذات السلطة والنفوذ وهذه الشهادة من فم الشاعر رومانس ، وقد جسّد في عقليته وايمانه ايمان سورية حيث نشأ وترعرع في كنيسة القيامة ببيروت وكان بوقها الصادح واخيراً يمثل ايمان الكنيسة البيزنطية وخصوصاً القسطنطينية في عزّها واوج مجدها .

وهذه النبرات اليونانية من فم شاعر سوري ولبناني وبيزنطي عاش قبل الانفصال تدلّ على ان ايمان الجميع كان واحدًا وهذا الايمان الواحد كان يعترف برئاسة بطرس ويقرّ بان المصف الرسولي لم يكن كله متساوياً بالسلطان والنفوذ

١) نشيد القيامة مقطوعة ٤

٢) نشيد القيامة مقطوعة ٤

الواحد بل انما هناك زعامة مثلى تجعل بطرس الزعيم لجميع الرسل والمؤمنين كما برهن عليه رومانس بقوله عن يوحنا الرسول : « ولم يلج القبر — مع انه سبق بطرس اليه — انتظر الزعيم لكي يتبع الحملُ (يوحنا) الراعي (بطرس) » . فلو كانت السلطة متساوية فيما بين مصف الرسل لما كان دُعيَ بطرس « راعياً وزعيماً » ويوحنا « حملاً » وبقية الرسل مرؤوسين لبطرس وبطرس الزعيم هو صاحب المفاتيح ايضاً لانه اليه اسندت ابواب الملكوت ، اسندها اليه المسيح اذ قال له : « اللصُ اصبح بوابَ الفردوس يشجعك فارسل الى الفردوس من تريد . »[1] اذن يحق لبطرس وحده ان يرسل الى الملكوت « من يريد وكما يشاء » . ولا يغيب عن بال الشاعر رومانس تلك الشخصية القديمة وأول خلق الله ، شخصية آدم التي تظهر وتشغل رومانس في كل اناشيده وبلسان آدم نفسه يصرح رومانس برئاسة بطرس اذ يقول له المسيح : « بك يا بطرس سيعود آدم اليَّ صارخاً : ان الخالق اعطاني اللص بواباً وكيفا صاحبَ المفاتيح . »[2] آدم اذن يشهد بهذا السلطان المسلم لبطرس بالمفاتيح التي ترمز الى الولاية التامة المطلقة .

وهذا هو السلطان الضروري لتدبير شؤون الكنيسة وسياسة اعضائها . ومن هذه الشهادات العديدة وغيرها يتبين لنا بوضوح ما كان دور بطرس في شعر رومانس وما هي المهمة التي القيت على عاتقه فهو مدبر الكنيسة ويرأسها كيف شاء . وهذه الرئاسة تسمو بانطلاقها وحريتها المطلقة لا تختلف عن سلطة الملك بشيء . فهي متوحدة ومحصورة في شخص بطرس وهي رئاسة حقيقية كاملة وذات سلطان شامل ونفوذ قوي حتى ان ابواب الجحيم لن تقوى عليها .

وقد بيّن رومانس في اناشيده التي هي مظهر لاعتقاد الشعب والكنيسة اليونانية في بيزنطية في الجيل السادس ، وهي شهادات صريحة تأتلف مع الروح الليتورجية التي تنادي برئاسة بطرس في المصف الرسولي وهي ايضاً اثباتات واضحة تدل على ما كان يعتقده الشرق والغرب قبل الانفصال من ان

١) نشيد الرسل مقطوعة ٦

٢) نشيد الرسل مقطوعة ٦

الكنيسة هي رعية واحدة وراع واحد يرئسها نائب يسوع المسيح في العالم المنظور وهذا النائب يمثل الاجيال في شخص بطرس وخلفائه .

وليس لنا امنية نبديها لارباب الشأن ولاخواننا المنفصلين عن وحدة الكنيسة الجامعة غير امنية المسيح في صلاته الوداعية : « ايها الآب القدوس احفظ باسمك الذين اعطيتهم لي ليكونوا واحداً كما نحن واحد ... ليكونوا مكملين بالوحدة .»[1] فهذه الوحدة التي تنشدها الكنيستان الشرقية والغربية في الصلوات الطقسية هي غاية الاماني وأمل الابناء . قرّب الله بين الابناء المشتتين وحقق أمنية الشاعر رومانس الذي يتغنى باتحاد بطرس ليضم ابناء المسيحية الى وحدة الايمان وتحت راية الصليب الواحد وبادارة راع واحد وايمان واحد هو ايمان بطرس رئيس الكنيسة وصاحب المفاتيح والمتقدم في كراسي الرسل وخازن الملكوت السماوي .

---

(١) يوحنا ١٧ — ١١ ، ٢٣